الذكرى السادسة لإستشهاد
الرفيق القائد غسان كنفاني

كمنه كانت الشهادة والرؤيا..

عاصم الجندي

الصهيونية بدأت ادبية ، وان عليه الاسهام في خلق (الفلسطينية) الادبية التي تحفظ قوة الروح والارادة ، للانسان الفلسطيني ، ولفلسطين في عمق (الانسان العربي) .

ولكن ترى ايكون الذي تركنا ولم نشبع منه (ابوة) ، ومعلمية قد ترك جيلا من الايتام الضائعين ؟ لا ..

هذا جيل اخذ اصابع غسان ، وأرسلها في عمق التراب ، فأثمرت الجذور حقلا خصبا من الروائيين، والقصاصين ، والمؤمنين بفلسطين الكاملة، الواحدة الجميلة ، الجارحة .

لم يكن كاتبا ، او فنانا ، او انسانا فقط ، كان معلما سياسيا كبيرا ، اذا فهمنا ان السياسة ليست مجرد الخطابات ، والتنظيرات ، ولكنها ان تلتزم بالقضية والناس .

لقد قرأ جيلنا رجال في الشمس ، فأقسم ان لا يموت على مزابل الكويت ، ودول الخليج ، ولذا اسهم كثيرون من ابناء جيلنا في الكتابة فقط ، بل في تكوين نويات الكفاح المسلح .

ايها الفتى الفلسطيني المسافر في الفضاء ، والعشب ، والندى ، والتراب ، اي انفجار كان انفجارك ؟ ايها الفتى الفلسطيني الهادىء كحمامة ، الجارح ، كنسر ، اي انفجار كان انفجارك ؟

أيمكن ان تفعل كتلة من العظام واللحم والدم ، اسمها غسان كل الذي فعلت ؟

أيكون انك خبأت نار فلسطين في داخلك ، وأد (فجروك) اضاءت نار فلسطين ، وأعطت كل هذا الضوء ؟

وبعد ،

ايها العزيز ،

فانني من هذا الجيل الذي اقسم ان يكون وفيا لكل قيم الشجاعة ، والنبل ، والجسارة ، والحب، التي تركتها لنا .

ولا بد ايها العزيز ان يأتيك هذا الجيل ، ليمادياك : انهض يا اوزيريس ، فقد جئنا لنلم اجزاء جسدك ، لحمك وعظامك ، ونعود بك الى الوطن .

كثيرون سيكتبون عن غسان كنفاني ، وكثيرون قد كتبوا .

لن اقول انهم لم يتركوا لنا ما يكتب عنه ، فهو معين لا ينضب ، ثر ، دفوق ، مسماح، سمته الغنى ، ولحمته وسداه ، البذل والعطاء .

ولكنني ، من كل الذين كتبوا او سيكتبون ، احب حين احكي عنه ، ان اتجه الى الضفاف القصية والخفي ، والشديد الخصوصية ، كواحد من الذين عايشوه ، لفترة خصيبة من فترات حياته الفنية .

من يدري ، فقد يأتي الوقت ، ولا بد انه آت الذي يصبح فهم ، مجرد كونك عايشت غسان ، امرا على غاية من الاهمية والخطورة ، وهو قليل على غسان .

من اين يبدأ المرء في ذكرى هذا الكبير الذي رحل على جناح المفاجأة والدهشة ؟ ..

من منا لا تتملكه الحيرة امام هذا السؤال ؟ .. أمن قلمه ، وكان مغامرا ، لم يترك افقا ، الا وجابه ، او ملاذا الا وحط فيه رحاله .

ام من ريشته المبدعة ؟

أم من حياته ، كانسان ، وهي ، بعدا للتوجس الاغنى والاعمق والاسخى ، من كل عطاءاته ..

اليوم ، سأحكي ، عن كفه السمح ، التي تهردت على الطغيان ، في حياته ، وفي رحيله .. حين تفجرت انسانية الانسان ، على مشارف الحازمية ، قبل ست سنوات طويلة، وتشرد الجسد النبيل كل مشرد ، ذهب رفاقه وخلان وفائه ، يبحثون جاهدين عن بقايا الجسد الفجيعة .

وحين ضموا اجزاءه الى بعض ، افتقدوا كفه تلك التي بها اعطى للثورة ، لفلسطين ، للانسان في كل مكان ، ولم يتوقف عن العطاء ، حتى بعد غيابه ...

ويطول البحث ، وتطول الحرقة والمرارات ، ويهتدون اليها بعد لاي ، واذا هي ، قد ابتعدت ، متفردة ، رافضة ومتمردة على المصير الاخير ، لتقبع وحيدة ، تطل من شاهق على مهاد بيروت، لكأنها تتأول ، بلغة الحدس والاشارة والغيب ، من هنا كانت البداية ، اما النهاية ، فهي ملك، لكل اولئك الذين كتبت ورسمت ، ناضلت وتمردت حتى ولجت ضفاف المجهول من اجلهم .

ها نحن نعيش الرؤيا ، ها نحن في زمن رؤياك يا غسان ... وكفك هي الشهادة على انتصار الحقيقة .

ثمة زاوية اخرى ، كنت اتمنى لو انني لا اتحدث عنها ، لفرط حساسيتها وايلامها .

احدى اصابع كفه المتمردة الشاردة ، تلك التي كانت تضغط على القلم والريشة ، فتفجر الابداع لونا وكلمات من العدو شروق ، ايضا ، نفرت وحيدة ، وتعلقت على غصن اخضر ، في شجرة قريبة ..

وضموا الجزء الى الكل ، وارتحل الكيان الشفيف ، ليبقى العطاء شامخا ، هاديا ، على دروب الغد ، يشير الى كل افق ارحب ، يؤكد ، ان الثورة المتمثلة بذلا وريادة وسخاء ، تظل اكبر من حدود الطغيان ، انها ، وكلما طال الزمن، تزداد كبرا وعظمة وعنفوانا .

في ذكراك يا غسان لا بد للمرء الا ان يتوجه شطر المستقبل ، فيراك في عيني فائز وليلى وكل طفل فلسطيني يتجه ، مزودا بكلماتك ، بحياتك ، بما يشبه نهايتك ، شطر التراب المحتل .

ايضا ، لا بد له ، وان يوجه تحية اكبار ، لأني ، هذه الانسانة المناضلة ، التي حملت قضيتك في غيابك ، كما حملتها في حضورك ، انت الحضور الدائم في حياتها .

ان ترحل يا غسان ، لامر يدمي القلب ، ويوجع الحشا ..

ولكننا ، حين نتذكر ، غسان المثل والنموذج والنبراس ، تهون المصيبة ، وتتفتح في نعي الامراء ، آلاف الورود الحمراء ، والغصون الخضراء ، الوارفة الظلال ، والتي كل ورقة فيها ، اصبع مبدعة ، رسمت للاجيال ، الف طريق مضيء ..

■■

الشهيد الرفيق غسان كنفاني

من اعز الرفاق

ومن خيرة المناضلين

ا . ب .

في الذكرى السادسة لاستشهاد الرفيق المناضل غسان كنفاني الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

وعضو مكتبها السياسي ورئيس تحرير مجلتها المركزية واحد اكثر الادباء الفلسطينيين عطاء واغزرهم انتاجا ، امتدت اليه يد الغدر والخيانة بعبوات ناسفة انفجرت في سيارته وادت الى استشهاده .

وجاء في البيان الذي اصدرته الجبهة الشعبية حول هذا الحادث الاجرامي الذي ارتكبه العدو الصهيوني :

« صباح هذا اليوم السبت ٨ - ٧ - ١٩٧٢ امتدت يد الغدر لتغتال رفيقا من اعز رفاقنا ومناضلا من خيرة مناضلينا هو الرفيق غسان كنفاني ... » .

كما نشرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان بيانا جاء فيه :

« تعرض الرفيق غسان كنفاني احد المناضلين البارزين في حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية والشخصية اللامعة في عالم الفكر والصحافة والادب الى حادث اجرامي اودى بحياته وبحياة ابنة شقيقته البالغة من العمر ١٧ سنة » .

واصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا حول الجريمة جاء فيه :

« تنعي اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية المناضل الشهيد غسان كنفاني احد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واحد رجال الفكر والاعلام في الوطن العربي الذي استشهد صباح هذا اليوم نتيجة حادث اغتيال لئيم » .

كما اصدر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بيانا جاء فيه :

« يعلن اتحاد الكتاب والصحفيين باعتزاز كبير استشهاد احد اعضائه الاخ غسان كنفاني وذلك بعملية اجرامية قام بها العدو في بيروت قبل ظهر اليوم السبت ٨ تموز ١٩٧٢ » .

وفي رسالة التعزية التي بعث بها الرفيق جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الى ارملة الشهيد غسان كنفاني جاء ما يلي :

« ما اريد ان اقوله لك في هذه اللحظات الصعبة ان غسان بالنسبة لي شخصيا وبالنسبة للجبهة الشعبية بشكل عام كان عزيزا وغاليا وانسانا لا يستغنى عنه ولا بد لي من الاعتراف اننا تلقينا ضربة مؤلمة .. يجب ان يعزيك ويزيد من شجاعتك ان العدو ارتجف من الفكر الذي مثله غسان وهذا دلالة من دلائل النصر الاكيد » .

وقد خلف الشهيد غسان وراءه عشرات الاعمال الادبية من قصص ومسرحيات وبحوث ومؤلفات سياسية ونظرية منها « ارض البرتقال الحزين » و « رجال في الشمس » و « عن الرجال والبنادق » و « عائد الى حيفا » و « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة » و « في الادب الصهيوني » و « المقاومة الفلسطينية ومعضلاتها » ... بالاضافة الى مجموعة كبيرة من الدراسات والمقالات التي تعالج جوانب معينة في تاريخ النضال الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية سياسيا وفكريا وتنظيميا .

كما عرفت جماهيرنا الشهيد غسان صحفيا تقدميا جريئا دخل السجن نتيجة جرأته في الدفاع عن القضايا الوطنية ، وعمل في العديد من الصحف والمجلات العربية كما عرفته فنانا مرهف الحس صمم العديد من ملصقات الجبهة الشعبية ورسم العديد من اللوحات الملهمة .

ورغم كثرة ما كتب عن الرفيق الشهيد غسان فانه لا يمكن لاحد ان ينكر عمق الجرح الذي اصاب الجميع فافقدهم قدرة التعبير عن الالم لان غسان كان واحدا من مشاعل الثورةلا في فلسطين فحسب وانما في المنطقة العربية باسرها، وكان قلمه يساهم في منفاخ الحدادة الهائل الذي ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال ليجعل منها حريقا عاما يلتهم كل الاعداء ويزعزع مواقع الظلم والقهر والعدوان .

هذا ما عرفه شعبنا عن الرفيق غسان قبل استشهاده وبعده ، فغسان وان غيبت جسده ، الجريمة البشعة فان تأثيره القوي كصوت من اصوات الثورة لا زال يدوي في كل بيت وساحة معبئا محرضا شاحذا الهمم نافخا في شرارات الحريق ، الثوري . وسيظل كذلك الى ان يتم انجاز كافة المهام التي نذر غسان ورفاقه انفسهم من اجلها .

وغسان بعطائه الرائع واعماله العظيمة ، ومنجزاته الكبيرة ، وليد حركة القوميين العرب تطور بتطورها ، وساهم بقسط كبير في عملية تطويرها وتحولها لتتخذ نهجها الراسخ المتعمق في النفوس وتزيد من تجذير نضالاتها لتقود في نهاية المطاف المسحوقين والمقهورين من ابناء الطبقة العاملة نحو آفاق التحرر وازدهار الديمقراطية على كافة المستويات .

ولا حاجة للاسهاب في استعراض تاريخ الرفيق كنفاني كمناضل طليعي دوما في صفوف حركة القوميين العرب التي شهدت تغييرات هائلة وتحولات جذرية في اعقاب نكسة حرب حزيران ١٩٦٧ ...

وظهرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كقوة ثورية تحررية تنهج الطريق الصعب ، مستوعبة الظروف الموضوعية ممتلكة الرؤية الواضحة التي تعتمد التحليل العلمي الدقيق والتنظير المبني على اساس من الفهم الموضوعي الشامل لطبيعة الصراع الطبقي وتحديد الاعداء ووضع البرامج السياسية القادرة على قيادة النضال وانجاز مهامه التي تفرضها كل مرحلة عبر المسيرة البطولية لشعبنا بكل فئاته الاجتماعية وقواه الطبقية .

وقد واكب الرفيق غسان كل هذا التطور فمنذ صدور العدد الاول من مجلة « الهدف » كصوت لهذه القوة - الجبهة الشعبية - وهو يؤمن ايمانا راسخا بأنها المفتاح الاعلامي القوي الذي تعتمد عليه في تعبئة الجماهير وتوعيتها بمصلحتها المتمثلة في التسريع بتفجير الصراعات الطبقية التي ستتمخض بالضرورة عن انتصار اصحاب المصلحة الحقيقية في الصراع والثورة . وهم ابناء الطبقات المسحوقة من معدومين وفقراء والذين يشكلون الوقود الحقيقي الذي لا ينضب للثورة ، وهم اخيرا مادتها الصلبة واداتها الفعالة الجبارة .

كما استطاع الرفيق غسان من خلال كتاباته ان يبلور الخط ، العلمي للجبهة الشعبية ، ويعري مواقف ، المزاودة ، والمهاترة ، ويدحض افتراءات وادعاءات اليسار الصبياني ، الذي لا زال يعيش طفولته ، الحالمة ، بكل ما فيها من رنين الشعارات ، وبريقها الاخاذ .

وفند مزاعم اليسار « الاسرائيلي » الذي ظل يتصور ، وربما لا زال ، ان نضالات الجماهير العربية في فلسطين المحتلة ، هو نضال جماهير « اسرائيلية » ضد الصهيونية المستغلة والفاشية، وان اسرائيل لا تشكل تحديا حضاريا ، للشعب الفلسطيني بكل طبقاته خاصة وللامة العربية والقوى التحررية في العالم بشكل عام .

واوضح من خلال التحليل العلمي الدقيق والفهم الموضوعي ، لطبيعة الصراع ، ان جماهير اليهود المسحوقة ، داخل الكيان الصهيوني ستتحالف ان آجلا او عاجلا مع حركة التحرر الوطني الفلسطينية ، لتتقوض في النهاية ، مؤسسة العدو العسكرية ، واجهزة ادارته ، وادواته القمعية التي لا زالت تمارس الابادة والتنكيل ، ضد شعبنا ، وتعمل على تفريغ مناطقه من اهلها ، بما لها من طبيعة عدوانية استيطانية ، كل همها التوسع والانتشار وما تفرضه نزعتها الحربية دائما ...

ومهما قيل ، فان الاقلام ستبقى تحاول ان تعطي غسان التقدير الذي يستحق وتسبر اغوار اعماله .. ان اجيالا واجيال ستأتي وستظل ، ترى في غسان ملهما دائما ، ورائدا نحو آفاق التحرر ، وثورة الانسان على القهر والقمع والتشرد ، والتحديات .